

المحظورات ترغم نساء عربيات على الهروب إلى المجهول

العادات البالية ما زالت سجننا للمرأة العربية



انتصار الإرادة على العادة، حياة مستعادة

لكن برغم الصعوبات والمشاكل التي تواجهها المرأة العربية، وتدفعها إلى محاولة إعادة عرس جذورها في بلد غير بلدها الأصلي، فإن المجمعيات الذكورية تمارس حالة من الإنكار والتزيين لواقع المرأة المرير.



ويني عمر

تحالف التيارات الاجتماعية المحافظة مع السلطة يجعل الوضع أكثر صعوبة، ويضفي طابع القدسية على العادات والتقاليد



رشيد الخيون

المرأة خضعت إلى الأحكام القبلية، والأعراف الاجتماعية القبلية، ومعلوم أن الأعراف تقوم بدور الأحكام في الكثير من الحالات



محمد الحمزة

ولو كانت نسب الهروب بسيطة يجب أن تعالج المشكلة بكل عقلانية حتى تعيش المجتمعات في استقرار وسلام

النشوز والطلاق والإرث، وكلها تقريبا تعلق أسباب نزولها بموقف القبيلة، وكان هذا اضطرارا لمسايرة رجال القبائل.

وتابع الخيون "بعد تعليم المرأة وتمنيتها، أصبح من الصعب عليها تقبل وتحمل تلك الأعباء، وفي حالة تعذر تعايشها مع بيئتها الدينية والثقافية لا مناص من محاولتها التخلي عما يقدها كإسنانة حرة، بهروبها من بلدها لاعتقادها بأنها ستجد حريتها في المناخ غير المسلم في البلدان الأوروبية على وجه الخصوص وقد يدفعها ذلك إلى التخلي عن ديانة الأب والأم، التي تراها عائقا خاطئا أمام حريتها وتقدمها، فهي تشعر في حالة احتفاظها بدينها أنها ستبقي مكيلة بتلك التقاليد والأحكام التي هربت منها، فلا بد أن تهرب مما بداخلها، أي ما يبقى يبعيق حريتها".

صورة قاتمة

ترى ناشطات عربيات أن النجاح الذي أحرزته نسبة ضئيلة من النساء العربيات لا يجب أن ينظر إليه بمنزلة، في مقابل تلك الصورة المشرقة هناك صورة أخرى قاتمة لمعاناة هائلة تكادها الملايين من النساء، المجتمعات الريفية والقبلية، حيث ينتشر الجهل والامية ومشكلات عميقة الجذور تتحكم في حياتهن من المهد إلى اللحد.

وقالت الناشطة الحقوقية السودانية ويني عمر لـ"العرب"، "عادة ما تعمل التقاليد الثقافية بشكل منحاز ضد المرأة ومميز ضدها، وتمارس تنميطا مضرًا ومنتجها إنسانية وكرامة النساء".

وأضافت "تعمل الثقافة على إخضاع الأفراد المنضوين تحتها، وعبء البات ضيق اجتماعي صارمة للمحافظة على خضوع الجميع، وعلى إخضاع النساء لمعايير أكثر صرامة، كما أن تحالف التيارات الاجتماعية المحافظة مع السلطة السياسية قد يجعل الوضع أكثر صعوبة، ويضفي طابع القدسية على الأعراف والتقاليد، ويمنع أي نقد أو محاولة للتغيير".

واعتبرت عمر أن "النساء يتعاملن بازواجية مع هذه المسألة، إما بالتماهي مع القهر واستبطان وعي ما يسمى بـ"سيكولوجيا الإنسان المقهور"، بحيث تصبح المرأة ذاتها أحد الحراس الأوفياء لهذا النظام القاهر، وإما أن تختار حريتها وتقاوم وتتمرد، وهي داخل بلاها أو تحاول الخروج جغرافيا بعيدا عن نطاق هذه المعايير الصارمة".

وختمت عمر بقولها "المجتمعات العربية التي تمثّل حواضن للثقافة المحافظة، تعتبر بمثابة المازق للنساء اللواتي يحاولن الانتعاق من سجن العادات والتقاليد المنكرة لحياتهن ولكرامتهن، وعادة ما تكون المجتمعات الغربية هي الملجأ".

بموافقة الولي الذكر، ويسمى تصريح السفر (خروجية) لكننا استنطنا التابع بجهاز وليّنا الذكر، وإعطاء الخروجية لأنفسنا وساعدنا اللاجئون الخليجيون الموجودون في بريطانيا على فهم إجراءات اللجوء".

وأضافت المري "عائلتنا لديها علاقات قوية مع الحكومة للأسف لذلك لم يكن هنالك أي مجال لنال حقوقنا في بلدنا ولأنه في الأصل لا يوجد قانون ينصف المرأة، بل حتى بعد هروبنا أصبحت الحكومة تلاحقنا، ويعمل شقيقنا المدعو (م.ع) ومن معه على بذل أقصى جهد للوصول إلينا هنا في بريطانيا وإعادتنا إلى قطر خوفا على (الشرف)، خصوصا بعد أن بدأت قصة هروبنا بالانتشار داخل المجتمع وسمع الناس أيضا بقصص شبيهة أخرى بقصتنا عن فتيات قطريات هربن من عائلاتهن، واعتقد أنه من الصعب علينا العودة إلى قطر لأننا نتردنا وهربنا من عائلاتنا وقبيلتنا، وهذا يعتبر بالنسبة إليهم عارا ولن ينجي غليلهم إلا قتلنا من أجل غسل شرفهم...".

تعيد قصة المري الحديث من جديد عن أسباب هروب النساء من عائلاتهن وأوطانهم وعن خصوصية مشكلتهن، التي تتمثل في مواجهة قيود لا حصر لها تفرضها التقاليد الاجتماعية والاختلافات الطائفية والعرقية وحتى الأنظمة السياسية.

ويربط الباحث في التاريخ الإسلامي رشيد الخيون، من خلال قراءته لبعض المفاهيم في القرآن والسنة بين أحوال النساء والتفسيرات الخاطئة للتعاليم الإسلامية التي تقف عائقا أمام مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

وقال الخيون لـ"العرب"، "المرأة العربية المسلمة خضعت إلى الأحكام الفقهية والأعراف الاجتماعية القبلية، ومعلوم أن الأعراف الاجتماعية تتولم بدور الأحكام في الكثير من الحالات، لكن في القرون الماضية، وحتى بدايات القرن العشرين، تواصل خضوع النساء لأعباء تلك الأحكام، وحتى في ظل مستوى التطور الاجتماعي آنذاك بقيت المرأة بعيدة عن التعليم والمساهمة في الحياة العامة، وصنع القرار السياسي".

وأضاف "لا ننسى أن دخول الأعراف القبلية على الدين قد مورست من أول ظهور الإسلام، وهناك آيات جعلت المرأة أقل من الرجل مكانة، ومنها آية القوام، والضرب في المضاجع، وحُكم

نخرج دون عباءة، بل يتم إجبارنا على لبس النقاب، كما لا نستطيع أن نقصد أي مكان إلا بمراقة أحد نكحور العائلة وهو أمر مرتبط أيضا بعادات وتقاليد العائلة ذلك التحكم بجميع شؤون حياتنا بما في ذلك اللباس والخروج من المنزل وحتى اختيار شريك الحياة، يضاف إلى ذلك أن عائلتي تمنع الإنث من العمل في مكان مختلط".

الإشكالية الأكثر تعقيدا، هي ما تواجهه النساء من حيرة في كيفية التوفيق بين الأطر التقليدية التي لا يكون فيها التغيير أمرا يسيرا، و رغبتهن في تحقيق نواتهن وتلبية احتياجاتهن من دون أن يتهمن بجلب العار

وأكدت المري قائلة "نحن نتعرض للعنف المنزلي لآفته الأسباب ومع الأسف النظام في قطر لا ينصف النساء المعنفات، بل يحمي الجناة وقد سبق وحاولنا التواصل مع الجهات المختصة بهذه المسائل لكننا لم نجد من يجاوب مع معاناتنا، ما دفعنا إلى انتقاد الحكومة على حساب (سابق) في تويتر يحمل اسما مستعارا لقد اتهمناها بتقييد حركة النساء وتكبيد حريتهن في التنقل والسفر، فالتساء في قطر كما تعلمون لا يستطيعن السفر إلا ببلوغهن الخامسة والعشرين من العمر، كما أنهن لا يستطيعن التحرك إلى أي مكان إلا

وأمؤرا وجدت البعض من الفتيات القطريات الشجاعة للكشف عن المعاناة التي يعيشنها في وسطهن الاجتماعي وأحلامهن التي تحطمت على صخرة العنف الأسري والقبلي، قيل أن يقررن الهروب من بلدهن إلى بريطانيا، وقد كان موقع تويتر بمثابة المنفذ الوحيد الذي تسلمن من خلاله إلى الحرية، ويكون لهن صوت مسموع، يعبرن به عن مشاكلهن بانفوسهن.

وقالت إحدى الفتيات القطريات لـ"العرب"، "اسمي الأول نورة (مستعار) لكن اسم العائلة المري وهو حقيقي ونحن مجموعة من الفتيات هربنا من عائلاتنا ومنا من هن قاصرات، وقد دفعنا إلى ذلك قبلتنا المتشددة، وبالنسبة لي شخصيا لقد تخليت عن ديني، لأنه في اعتقادي يعتبر المرأة خادمة ومخلوقة لخدمة الرجل ولأغراض أخرى".

وأضافت "العادات والتقاليد والدين تسيطر على مجتمعنا، بل تعتبر المرأة مواطنا من الدرجة الثانية، ويستخدم الرجال الدين كأداة للتحكم بمصيرنا، وكل ذلك يتم بمباركة الحكومة".

وواصلت المري حديثها "لا نستطيع أن

ليس من السهل على النساء العربيات تجاوز الأعراف المجتمعية، وخصوصا بالنسبة لمن نشأت في بيئات ريفية وقبلية، إلا أن الكثرات منهن استطعن كسر الجدار المنيع لذلك السجن والهروب بحثا عن متففس من الحرية في أوطان بدلية تحفظ كرامتهن وتمنحهن هامشا من الحرية والأمان.

يمنية حمدي
صحافية تونسية
مقيمة في لندن

تنص قوانين معظم دول العالم ومواثيق الأمم المتحدة على حق كل إنسان في اختيار نمط حياته طالما قام بواجباته، غير أن النظرة لحقوق المرأة يمكن أن تختلف بشكل كبير من مجتمع إلى آخر، وتبني في المجتمع نفسه حول مدى توافق تلك الحقوق مع الثقافة والتقاليد السائدة.

وتتسم منطقة الخليج بمجتمعاتها المحافظة أكثر من بقية البلدان العربية الأخرى، ولذلك فإن الكثير من النساء الخليجيات قد يجدن أنفسهن أحيانا في بيئات غير متجانسة ومتشعبة على الصعيد الثقافي والديني، إذ يمكن للمرأة التي تعيش في اوساط اسرية ليبرالية أن تدرس وتتمتع بجميع حقوقها الاجتماعية والاقتصادية، فضلا عن حقوقها المدنية، فيما لا يمكن لامرأة أخرى تعيش في بيئات ريفية وقبلية مغادرة المنزل تماما، بسبب الأعراف والتقاليد التي تحكم الكثير من جوانب حياة النساء، ما يدفع الكثيرات إلى محاولة كسر تلك الأعراف المجتمعية التي يربتها غير منطقية.

الأفكار النمطية

ويرى البعض من خبراء علم الاجتماع أن النظم التقليدية والاجتماعية ما زالت تقيد حرية المرأة وتمنح الرجال الحق المطلق في اتخاذ القرارات نيابة عنها، فضلا عن كونها تركز الأفكار النمطية التي تغذي النظرة الدونية لجنسها، وتضيّق الأفق أمامها في الحياة العامة.

ودعا محمد الحمزة الأخصائي الاجتماعي السعودي، إلى النظر إلى مشكلة الحجر على حرية وحقوق النساء والفتيات العربيات من عدة زوايا اجتماعية، مشيرا إلى أن الأهمالي قد يقومون بذلك بدافع حمائية بناتهن، أما الدافع الثاني فهو بسبب الخوف من العار والفضيحة، أما الدافع الثالث فهو الاستغلال المادي للفتيات للموظفات، وعن خلال تلك الأسباب يتم التصديق على المرأة إما بحسن نيّة وإما بقصد سوء نيّة.

وقال الحمزة لـ"العرب"، "للاسف رغم الانفتاح الذي تشهده الدول العربية إلا أن تلك الممارسات ما زالت موجودة، ومع ازدياد الوعي الحقوقي والإنساني للنساء في العالم العربي ظهرت لدينا مشكلة الهروب للغرب بحثا عن ملاذ آمن وحياة مستقرة"، وأضاف "مفهوم الهروب لا يجب أن ننظر إليه فقط من خلال المفهوم السطحي العام؛ لأنه قد يأخذ أيضا طرقا سلمية ونظامية، حيث نجد بعض الفتيات ممن يحملن شهادات علمية أو ممن لديهن رصيد مالي أو لديهن الإمكانيات العنصرية المناسبة، يسافرن طواعية للعمل في البلدان الغربية بشكل سلس ومرتب، ولكن الهدف الأساسي هو الهروب من البيئة والمجتمع، وهناك أيضا من الفتيات من ينهين للبلدان الأجنبية بمساعدة المنظمات الحقوقية ويطلبن اللجوء من جراء التسلسل الاجتماعي الذي يتعرضن له في مجتمعاتهن الأصلية".

وشدد الحمزة على أن الاعتراف بوجود هذه المشكلة هو بداية الطريق نحو الحل معللا رأيه بقوله "إن تنامي وازدياد الوعي لدى المجتمعات العربية قد دفع المرأة للبحث عن حقوقها وعن مجتمع وبيئة تعيش فيها بكل أمان واستقرار، وعلى الحكومات العربية سنن القوانين والأنظمة والتشريعات التي تضمن الحقوق العامة والسلامة للجميع، وبالذات للحد من مسالة التدخل المجتمعي باسم الأعراف والتقاليد التي أصبحت ذريعة لفرض التسلط والاستعباد وسلب الحقوق، فهذه أهم خطوة من خطوات الحل حتى لا ناعم الفوضى باسم التقاليد والأعراف". وأشار إلى أن

العالم العربي قد فقد الكثير من العقليات والنماذج النسائية المميّزة بسبب هذه الظاهرة التي برزت إلى السطح مع وجود وسائل التواصل.

وختتم الحمزة حديثه بقوله إن "الحياة في الغرب ربما لا تكون الملاذ

المطلوب، بل لا بد من مسالة التدخل المجتمعي باسم الأعراف والتقاليد التي أصبحت ذريعة لفرض التسلط والاستعباد وسلب الحقوق، فهذه أهم خطوة من خطوات الحل حتى لا ناعم الفوضى باسم التقاليد والأعراف". وأشار إلى أن

العالم العربي قد فقد الكثير من العقليات والنماذج النسائية المميّزة بسبب هذه الظاهرة التي برزت إلى السطح مع وجود وسائل التواصل.

وختتم الحمزة حديثه بقوله إن "الحياة في الغرب ربما لا تكون الملاذ



المرأة خضعت إلى الأحكام القبلية، والأعراف الاجتماعية القبلية، ومعلوم أن الأعراف تقوم بدور الأحكام في الكثير من الحالات